

تورد على يد

كتاب البخلاء للجاحظ

للاستاذ رشدي الحكيم

كانت مجلة « المشرق » التراء نشرت لي في الجزئين الرابع والخامس من المجلد الثالث والخمسين مقالاً عن كتاب البخلاء للجاحظ طبعة دار اليقظة العربية بدمشق قلت فيه ان هذه الطبعة خير طبعة اخرجت للناس وقلت ان هذا الكتاب على تعدد طبعاته [التي ناهزت العشر] وما بذل من الجهد في تحقيقه لا يزال فيه عبارات غامضة لم يعرها الصواب نوره يعوزها تحقيق ادق وتصحيح اتم حتى يجبي. الكتاب كما املاه مؤلفه شيخ الكتاب عمرو بن بحر الجاحظ، ثم اوردت ملاحظاتي ذاكراً اصل العبارة وما ارجح انه الصواب فيها .

وقبل نشر هذا التقدر ظهرت طبعة اخرى للكتاب بتحقيق العلامة الدكتور طه الحاجزي وتعليقه اصدرتها دار المعارف بصر وقد اطامت عليها بأخرى وقرأتها قراءة تدقيق وتبين فرأيت ان هذه الطبعة قد غيّرت في وجه سائر الطبعات التي سبقها لان المحقق المفضل اطلع على مخطوطتين لم يُطلع عليها فيما قبل احداهما مخطوطة كبريلي الوزير الممالي والى اخرى مخطوطة باريس وهي ناقصة لا تحتوي الا على نحو ثلث الكتاب كما انه وجع الى مصادر كثيرة غير مباشرة من كتب الادب في تصحيح العبارات وذييل الكتاب بتراجم مستفيضة لمعظم الاعلام الواردة فيه وجلهم من الاعلام الذين اغفل المؤرخون الترجمة لهم ولكن المحقق نقب عنهم في مصادر كثيرة حتى اهتدى اليهم، كما نشر الكلمات الغامضة والادوات والمصطلحات الممرانية مما كان يستعمل في ذلك العصر واغفلت المعاجم وهذا عدا الفهارس العديدة التي ذيل بها الكتاب لاسماء الاشخاص والاماكن والاطعمة والادوات والشعر حتى انصاف الابيات وحتى المراجع وهذا الذيل الذي هو ذيل الطاووس يربني على حجم الكتاب .

وقد جاء الكتاب وذييله مجلوا في طبعة دار المعارف بالورق الجيد قطعة

فنية وتحفة انيقة تكاد تكون الحناء. التي عدت اللذام لو ان الدكتور اكل فضله ففسر الكلمات اللغوية ايضاً.

وقد لحظت ان كثيراً من المآخذ التي أوردتها في تعدي لطبعة دار اليعقبة العربية قد جاء على الصواب في حين ان المأزف لم يطلع على ما كتبت .

والكثير وجدت في الطبعة الجديدة عبارات لا يزال في نفسي منها ما في نفس القراء. من حتى ورأيت ان اعرض رأيي فيها فيما يلي خدمة لهذا الكتاب الجليل الجليل الذي يعد من امهات كتب الآداب العربية.

ص ١ - (لأجعل المنزل مستراحاً والراحة جماعاً) والراحة والجمام في معنى واحد وربما كانت الراحة محرفة عن المراحة والمراحة المزاح .

ص ٢ - (وما هذا السبب الذي خفي به الجليل الواضح وادرك به الجليل الغامض) ولعل الجليل الثانية معدولة عن الضئيل او الخفي.

ص ٣ - (وربما ظن ان قد فطن له وعرف ما عنده فوره شيئاً لا يقبل التسويه ورقع خرقاً لا يقبل الرقع) ضبطت (خرقا) بضم الخاء والصحيح فتح الخاء .

ص ٣ - (ودلت على حقائق التسويين وهتكت عز امتاز الادعاء.) ولها وهتكت من امتاز الادعاء..

ص ١١ - (وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وختم على كيس فانزع وقال : طينة خير من طينة) وربما كانت (خير من طينة بالظاء مكسورة او طينه خير من طيه) من طان الكتاب اذا ختمه بالطين .

١٢ - لا يعتن احد بطول عمره وتقوس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته ان يرى اكرومه ولا يخرج ذلك الى اخراج ثاله من يديه وتحويله الى حلك غيره) وربما كانت العبارة (ان يرى اكرومه على سواء).

١٥ - عليك بطلب النني فلو لم يكن لك فيه الا انه عز في قلبك وشبهة في قلب غيرك) وعندني ان الجملة (وشبابة في قلب عدوك) ومن جملة معاني الشبابة الحسد رايرة المقرب .

١٨ - ورأيت انا حمارة منهم زها. نخمين يتفدون على مياقل مجحضة قرية

الاعراب في طريق الكوفة وشم حجاج) ولعل الصراب فيها (ورأيت انا جمارا
او جماعة منهم) والجار الجماعة.

٢١ - (فأن وجد قيم البستان رمى اليه بدرهم ثم قال اشتر لي بهذا او
اعطني بهذا رطباً) ضبطت اشتر بكسر الراء. من الاشتراء. والاولى ان تكون
بجزءها فعل امر. من الاشترار بمعنى القطف والحلي.

٤٢ - (والجدي بهشرة دراهم انا ينكر عندنا بالبصرة لكثرة الخير ورخص
السعر فاما في المساكر فأن انكر ذلك منكر فاما ينكره من طريق رخصه)
ربما كانت المساكر محرفة عن المساكر بمعنى القرى.

٥٠ و٦٢ - (واما ابو محمد الحرامي عبد الله بن كلسب كاتب مويس
وكاتب داود بن ابي دارد) وجه الصواب فيها (دواد بن ابي داود) لا داود
ودواد بن ابي داود ورد له ذكر في الجزء الاول من البيان والتبيين ص ١٠٣
تحقيق عبد السلام محمد هارون.

٦١ - (ما اخوفني ان اكون قد قصد الي بقول ما اخوفني ان يكون الله
في سمانه قد قصد الى ان يفترني) وربما كانت كلمة بقول معدولة عن (يقول)
بالعين والتول بالضم المملكة.

٧٤ - (واطمسهم ما يعرفون فإنه انجح واشفى للقرم) ربما كانت (واطمسهم
ما يعرفون) بالقاف من عرق العظم اكل ما عليه من اللحم يدل على ذلك ما
جا. بعدها من انه (اراد ان يكيدهم بالثريد ريبلاً صدورهم بالعراق) والعراق
العظم دون لحم او بلحم.

٨٥ - (وحجة الساكن ان يشغل الله عنه المسكن كيف شاء. ان شاء
شغله بعينه وان شاء بزمانه وان شاء بجبس وان شاء بموت) بزمانه محرفة عن
بزمانه بمعنى العاهة لا ان يشغله بالزمن.

٨٦ - (وربما اخذهم ومعه امرأة يفجر بها فيجعل استنجار البيوت وتصفح
المنازل علة لدخولها والمقام ساعة فيها) وعلق المحقق على هذه الجملة بقوله (ولعلها
كما يدل السياق) وربما اخذ [الفتاح] منهم) وارى ان الجملة (وربما جا. احدهم
ومعه امرأة الخ).

٨٦ - (وربما بلغ من استضافته واستنقاله لامراء الكرا. اذ يدعي ان له شقيصا وان له ندا ايضا خصصاً من الحُصوم) يظن على الظن ان استضافته محرقة عن استظامه .

٨٨ - (ومن اتخذ دارا فقد اقام كفيلا لا يخفر وزعياً لا يفرم) ولعلها (وزعياً لا يفرم) .

٩٦ - (وهو ان تحضر هذه الزيادة من الحُبز على طبق ويكون قريباً بحيث تناله اليد فلا يحتاج احد مع قربه منه الى ان يدعوه به ويكون قربه من يده كثرة على مائدته) الصواب (كثرة على مائدته) الكاف هنا للتشبيه والتفريق والتبديد ويكون المعنى ان وضع الحُبز على طبق قريباً من يد الآكل مثل تفريقه على المائدة .

٩٧ - (وكأثرا يملون ان احضار الجدي انما هو بشي. من آيين الموائد الرقيمة وانما جعل كالعاقبة والحائمة والعلامة لليسر والفراغ) لعل كلمة الفراغ معدولة عن الفرع والفرع المال الطائل المعد .

١٠٢ - وكان اذا دخل الصيف وحر عليه بيته اثاره حتى يترق المسحاة ثم يصب عليه جرارا كثيرة من ماء البئر. ويتوطئه حتى يستوي فلا يزال ذلك البيت باردا ما دام نديا فاذا امتد به الندى ودام برده بدرامه اكتفى بذلك التبريد صيفه . وان جف قبل انقضاء الصيف وعاد عليه الحر عاد عليه بالاقارة والصب وكان يقول : خيشتي ارضي وماء خيشتي من بئري (ولعل الجملة) وكان يقول خيشتي ارضي (كما قال بعد (من بئري) .

١٠٣ - (وقد يأكل الناس القت قذاحا والشعير فريكا) وارى ان قذاحا معدول بها عن (قراحا) والقراح بمعنى الخالص .

١٠٥ - (وجعلت ما لا رقعة له ممحاة لي وللجارية اذا نحن قضينا حاجة الرجال والنساء) ممحاة ربما تكون معرفة عن مسحاة وهي ما يسحى به من سحى الطين قشره .

١١٧ - (ذلك لان الطعام يسكر ويخدر ويختر ويبل الدماغ ويبل العروق

ويترخي عليه جميع البدن) وربما كانت العبارة (ويشل الدماغ ويشل المروق) بمعنى يهدم والقائل يرمي الى ذم الطعام لا الى مدحه.

١٢٢ - (وها هنا اموال باسمي ولك شطرها واموال باسمك ولي شطرها وصامت في منزلي وصامت في منزلك لا نعرف فضل بعض ذلك على بعض وان طرفنا امر الله ركعت الحرب بين هؤلاء. المثية وطال الصخب بين هؤلاء. النسوة) ولعل ركعت محرفة عن وقدت كما يقتضيه السياق.

١٢٤ - (إِنَّكَ انْ اطمتهم اليوم البرقي اطمتهم غدا السكر وبعد غد الهبات ثم يصير ذلك بعد ايام الجمع في سائر ايام الأسبوع ثم يتحول الرطب الى الغداء ثم يؤذي النداء الى العشاء ثم نصير الى الكساء ثم الاجداء. ثم الحملان ثم اصطناع الصنائع) الغالب ان (الاجداء) محرفة عن الاهداء. يؤيد ذلك ان الحملان ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

١٢٧ - (وكان شديد العقل شديد العارضة) والعقل لا يوصف بالشدة ولعلها محرفة عن (سديد العقول) بالسين.

١٢٣ - (وما كان من السامير وقطع الحديد فلجذابتين وما كان من القراطيس فللطرار وما كان من الصحف فلرؤس الجرار) الاقرب ان تكون كلمة الطراز محرفة عن (فللطران) والظران الحجر بقده به اي ان القراطيس هذه توضع في جانب الظران عند قدحه لتساعد على اشعال النار والطرار علم الثوب والموضع الذي تنسج فيه الثياب الرفيعة والقراطيس الملتقطة من كساحة الدار لا تكون عادة من طراز يستعمل للطرار.

١٥٥ - (تواته جنة للوارثين اذا اودى وجنانه للرب والدود) وربما كانت جنة محرفة عن نية.

(وقريت في مقرى قلائص اربعا وقريت بعد قرى قلائص اربع) ربما كان الشطر الاول

وقريت قبل قرى قلائص اربعا

يؤيده ما جاء في الشطر الثاني

١٦٥ - (وقالت عائشة في حبة عنب «ان فيها لثاقيل ذر» ولعل الصواب

«لثاقيل ذر» بمعنى ان الذر يستفيد منها لذاته كما يستفيد الناس من المقاتل.

- ١٦٧ - (زمن خزون ووارث شفون وكاسب خزون) والاولجه ان يكون
« وكاسب خزون » بالحاء المعجمة من الحزن .
- ١٦٩ - (فان نحن جعلنا لا ابتدانه جوابا وجعلنا لجوابه الثاني جوابا خرجنا
الى التهاثر وصرنا الى التخاير) وارى ان التخاير معرفة عن التهاير بالعين .
- ١٦٩ - (ومتى قامت اخلاطه على الاعتدال وتكافأت خواطره في الوزن
لم يعرف من الاعمال الا الاقتصاد ولم يجد افعاله ابدا الا بين التقصير والافراط)
وارى ان الجملة (ولم يُجِر - بالراء - افعاله) .
- ١٦٩ - (فدع عنك خلطة الاممة فانه حارص لا خير فيه) لدل حارص
معدولة عن خارص بالصاد المبجلة بمعنى حازر اي ليس على يقين من امر .
- ١٧٠ - (لان ابواب تدبير العاقل وحيله معروفة وطرق خواطره مسلوكة
ومذاهبه محصورة معدودة وليس لتدبير الاحمق وحيله جهة واحدة ومن اخطأها
كذب) سياق الكلام يدل على ان الصواب (احصاها) لا (اخطأها) .
- ١٧١ - (وسوا . جاع فظلم واحفظ وعسف ام جاع فكذب وضرع)
كلمة احفظ وان كانت مجزية هنا ولكن كلمة خبط اقرب الى سياق الكلام
لتنسق مع جارتها الظلم والسف .
- ١٧٣ - (فأبنا جملك معبرا لمدرک حاجته ومركبا بلوغ محبته) قد تكون
(محبته) معرفة عن مغبته وللأولى وجه ايضا .
- ١٧٨ - (لكانت حيلهم في الناس اشد تغفلا واعرض واسرى في عنق
البدن وادخل الى سويداء القلب) ارى ان اعرض معرفة عن اعرق كما يقتضيه
سياق الكلام .
- ١٧٨ - (ولو اتخذت الحيطان الرقيقة الثخينة والاقفال المحكمة الوثيقة
ولو اتخذت المارق والجواسق والابواب الشداد) وبما كانت (المارق) معرفة عن
المحاوز جمع محوز من حاز المال اذا جمعه وضمه اليه .
- ١٧٩ - (وقال عمر : « لغارس الشفارق والحروض » هي الشبارق بالباء ما
قطم من اللحم صفارا وطبخ .

١٨٠ - السويق (من عدد المسافر وطعام العجلان وغذاء المبرك وبانمة المريض يسرو فؤاد الحزين ويرد من نفس المحدود) ربا تكون (المكدود) وهو المتعب .

١٨٠ - (وقيل لبعض هؤلاء اللعامة والمتأكلين والشاغيف والمقمن) ربا كانت الشاغيف محرفة عن الشافيق جمع شفة: ناق وهو الداهية .

١٨٢ - (ولكني خلقت اذا مال فأنجل بمد ذلك انييل)

قد تكون رواية الشطر الاول من البيت :

ولكني خلقت اذا مال

بني - نس للمال كما في معاجم اللغة .

١٨٥ - (ان التواني انكبح العجز بنته) .

لعل هذا الشطر من البيت :

اذا ما التواني انكبح العجز بنته

١٨٧ - (احذر اعطاء المخدوعين وبذل المنونين فان المنون لا محمود ولا

مأجور) الاولى ان تكون (عطاء المخدوعين) لا اعطاء .

١٨٨ - (اللهم لا تثر لي ماء سوء فاكون امراً سوء) صوابه (اللهم لا

تثرني ماء سوء) .

١٩١ - (وقد ترى شنف الفقراء للاغنيا وتسرع الرغبة الى الملوك وبنض

الماشي للراكب) ربا تكون العبارة (وتسرع الرعية الى الملوك) والتسرع

يُستعمل في الشر .

١٩٢ - (ومن طمع في السلامة من غير تسلم فقد وضع الطمع في موضع

الاماني وانما يتجز الله الطمع اذا كان فيما امر به) لعلها (وانما يجيز الله الطمع) .

١٩٥ - (لا تعيني على الزمان ولا تواسيني ببعض مالك ولا تتفرج لي عن

شيء) اظن ان تتفرج محرفة عن تتفرغ بالعين المعجمة .

٢٠٠ - (وادركه ما يدرك المنين من التيه فلم يحملها) خافية فارغة

فكان يركلها ركلة فتدحرج وتدور يبلغ حمية الركلة ويقوم من ناحية كي لا

يراه انسان ويرى ما تصنع (الاصح ان تكون (ويرى ما يصنع) .

٢٠٢ - (قال : ينس العيش هذا ليس [هذا] عيش آل الخطاب) هذا الثانية زادها المحقق في حين ان الكلام تام دونها واسم ليس معلوم من الجملة التي سبقتها .

٢٠٤ - (ولم ار شهواني تديباً ولا لشهوي صبراً) وفي رأبي ان صواب الجملة (ولم ار لشهواني تديباً ولا لشهوي صبراً) .

٢٠٤ - (وكان سالم بن قتيبة يركب بغلة وحده ومعه اربعة آلاف مرابطة) ربنا كانت (يركب بغلة واحدة) بمعنى انه لا يداول بينها وبين غيرها ولا يبدلها .
٢٠٩ - (فاننا لا اتكلم في الولايات ولا اتكلم في الدراهم من قلوب الناس) لمانيا (من جيرب الناس) .

٢٢٧ - (جعلنا الاالا والرجام وطخفة لها فاستقلت فوقهن اثانيا) وربنا كان الشطر الاول :

(جعلنا الألا . والرجام وطخفة)

فالالا . شجر اخضر والرجام الحجارة وطخفة بالهاء . لا طخفة نوع من الشجر وهذه الثلاث اثاني للقدر .

٢٣٣ - (رب نار بت ارقبها تقضم الهند والغارا)

ضبطت تقضم بكسر الضاد وهي بفتحها من باب سمع .

٢٣٦ - (ابا ارب كيف القرابة بينكم)

واخوالكم من لحم اكفالمها عجر)

قد تكون عجر محرفة عن بحر بمعنى ممتلئة .

٢٦٨ - فأت المحقق ان يشير في ترجمة سهل بن هارون الى ابيات له في

السدتي ذكرت في البيان والتبيين في الجزء الثاني ص ١٩٦ وهي :

تكنفتي هـ ان قد كسفا بالي وقد تركا قلبي محلة بلبال

هما اذريا دمي ولم تذر عبرتي ربية خدر ذات سسط . واخلخال

ولكنني ابكي بعين سخينة على جلال تبكي له عين امثالي
فراق خليل او شجي يستغني حلة سر. لا يقوم لها مالي
فراكبي حتى متى القلب مرجع لفقد حبيب او تعذر افضال
وما الجيش الا ان تطول بنائل والا لقاء الخل ذي الخلق العالي

وفي هذه الايات كما في الايات التي مدح بها يحيى بن خالد البرمكي
التي منها :

عدو تلاد الميال فيما ينويه منوع اذا بنا منعه كان اخرما
ما يدل على خلق سهل وشخصيته وانه لم يكن بالمتزلة التي وضع فيها من
البخل والشح فانظر اليه كيف يتلف على سد خلة واسدا. مونة وكيف يمدح
يحيى بن خالد بكونه يمنع اذا ما كان المنع احزم فلم يكن اذن رجلاً شحيحاً
بجملًا كز اليدولا مبذراً مرفقاً متلاًفاً يبدد المال تبديداً في غير وجه
بل كان حكيماً متقناً يضع الامور في نصابها ويحبب المال لاسداء مكرمة
وكسب محمداً .

٢٧٩ - (اما بعد فالسلام على عهدك وداع ذي ظن بك) والصواب (ذي
ضن بك) بالضاد المعجمة .

٣١٤ - (ارضاً اذا سار بها الجيش بكى

ما سارها قبلك من انس ارى)

والصواب الجيش وهو الجبان ولم تسع ان جيشاً برتمته صار يبكي اذا
ما وقع في آزمة .

٣٣٥ - علق المحقق على كلمة خواهر كره (بأنه لم يستطع ان يجد من
المعاني المحتملة لهذة الكلمة فيما اتبع له من المناجم الفارسية ما يتفق مع سياقها)
واقول لها مشتقة من كلمة خام بالفارسية بمعنى النبي كما ان (مزه) بالفارسية
بمعنى الذوق والطعم حسب رأيي في المناجم التركية التي لدي وكان المقصود
بها المآكل النيئة كاللحم غير المطبخ وغير المشوي وغير ذلك مما يوضع على
مائدة الشراب من النقل .

٣٣٧ - شك المحقق في الذي رواه ابو عبيدة (من بجل خالد القمري على الطعام في حين ان ابن عبد ربه عدّه في الاجواء) ولا ارى تناقضاً بين الخبرين اذ قد يكون بجدلاً بالطعام جواداً فيما سواه كما هو الحال مع عبد الملك ابن قيس الذئبي (البخلاء: ص ١٤٩) والناس اخفاف .

٣٥٤ - واضيف على ما ترجم به المحقق للسدي فاقول ربنا كان هناك سدري آخر ورد له ذكر في طبقات الشمران لابن المعتز ويظهر انه ابن اخ لبشار ابن برد وانه كان راوية للسيد الحيري .

٣٥٦ - رجح المحقق ان المقصود بالحيش مروحة الحيش التي تستعمل لتبريد الجو ويظهر ان الحيش يقصد به شي . آخر فقد جاء في كتاب الحضارة الاسلامية (الجزء الثاني ص ١٥٣) ان في عهد المنصور العباسي اتخذت طريقة اخرى للتبريد فكانوا ينصبون الحيش الفليظ ولا يزالون يباوناه بالماء فيبرد الجو وكان الحيش يتصب على قبة . ويحكى المقدسي انه رأى في دار عضد الدولة بشترازبيوت الحيش يبلها الماء على الدوام بواسطة قني حولها من فوق وكانت حراقات دجلة التي يستعملها رجال الدولة في غدرهم ورواحهم يعد فيها التاج ويملق عليها الحيش المبلل بالماء . وكانت ترخى على الحيش ستور الكرايس . ثم ذكر المروحة ووصفها بما يدل على ان الحيش غير المروحة وكان كلاماً او احدهما يستعملان في الدور الرقبة .

٣٧٢ - ترجم المحقق محمد بن الجهم وفاته ان يذكر انه آلف كتاباً للأمرن في الاختيارات قريب المأخذ صحيح المعاني جداً وكان اميناً جليل القدر عالماً بالمنطق والتنجيم (اخبار الحكماء للقطبي ص ١٨٦) .

٤٠١ - الفالوذج (فتات البر بلعاب النحل بخالص السن ما عاب هذا مسلم) لها (لباب البر) لا فتاته .